

هل العمل الصالح مقبول دائماً؟ بحث في المعيار الأساسي لقبول الأعمال

ما المعيار الأساسي لقبول الأعمال؟ وكيف نتيقن من قبول أعمالنا؟

هل حدث يوماً أن قمت بعملٍ طيبٍ، لكنك لم تشعر بالرضا الداخلي، ولم ترَ أثراً كنت تتوقعه؟ في عالم اليوم، حيث تُقدّم المظاهر على المعاني، يبرز سؤال جوهري: ما هو معيار قبول العمل؟ وما الذي يجعل الفعل في ميزان الإنسان والإله فعلاً ذا قيمة حقيقية وأثرٍ باقٍ؟ هل النية والإخلاص والصفاء الداخلي أهمّ من نتيجة خارجية نراها؟ هنا ندخل إلى صميم الفكرة: معيار قبول العمل. فالمعيار الحقيقي لا يُقاس بالمظهر أو النتيجة، بل بجملةٍ من القيم الباطنية؛ كصفاء النية، والإخلاص، والتواضع، وشكر النعمة. تلك العناصر هي التي تحدّد إن كان العمل مقبولاً في جوهره، بصرف النظر عن ما يبدو من الخارج.

لقد أصبح الحكم على الناس في زماننا أكثر سطحية؛ نرى من يتصدّق أو يتكلم بصدق فنسرع إلى وصفه بالصلاح، وكأن الظاهر يكفي للحكم على الباطن. لكن، هل هذا كافٍ حقاً؟ هل يكفي أن يكون الفعل حسناً في صورته الخارجية ليُقبل عند الله، أم أن وراء السلوك الظاهر نياتٍ ودوافعٍ هي التي تمنح الفعل قيمته الحقيقية؟ في التعاليم الإلهية والأخلاقية، ليس العمل بلا نية خالصة مقبولاً، ولو كان في صورته جميلاً. بل إن العمل المجرّد من النية الصادقة قد يكون بلا أثر، وربما ينقلب ضرراً على صاحبه. من هنا، فإن إدراك معيار قبول العمل ليس ترفاً فكرياً، بل ضرورة لكل من يسعى إلى حياةٍ أخلاقيةٍ ومعنويةٍ صادقة. فهو ما يوجّه الإنسان إلى ألا يكتفي بحُسن الظاهر، بل يسعى لتزكية نواياه وإصلاح باطنه كما يُصلح سلوكه. الهدف من هذا الدرس هو أن نتعلم كيف نرتقي بأعمالنا من مجرد حركات ظاهرية إلى أفعالٍ لها معنى وقيمة، بحيث تكون مقبولة لا في نظر الناس فحسب، بل في ضميرنا، وأعظم من ذلك، في محضر الله سبحانه وتعالى.

المعايير الثلاثة لقبول العمل: ما الذي يمنح أفعالنا روح الحياة؟

كثيراً ما نرى في حياتنا اليومية شخصين يقومان بالفعل نفسه، لكن أحدهما يُمدح ويثنى عليه، والآخر لا يلقى التقدير ذاته. فما السرّ؟ ما الذي يجعل عملاً ما يدخل دائرة القبول، بينما يُستبعد عمل آخر رغم تشابههما في الظاهر؟ الجواب بسيط وعميق في آنٍ واحد: العمل لا يُوزن بشكله الخارجي، بل بما يحمله من نيةٍ وروحٍ باطنية. فالنية هي القلب، والظاهر مجرّد جسدٍ بلا حياة.

وهنا تظهر ثلاثة معايير أساسية تمنح العمل قيمته الحقيقية: الشكر، والإخلاص، واستتغار العمل.

الشكر: المعيار الأول لقبول العمل

إن الشكر ليس مجرد رد فعل لسانی، بل هو نظرة عميقة للحياة وما فيها من نعم وممتلكات. عندما يعي الإنسان نعمه ويدركها، ويظهر تجاهها السلوك المناسب، فإنه يدخل في دائرة الشاكرين؛ وإلا فإنه يواجه خطر السقوط من المرتبة الإنسانية. وقد ورد عن الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء الأول من [الصحيفة السجادية](#) بيان صادم، حيث قال: «وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)».

إن العمل يحيا في ظل الشكر. فإذا افتقر عمل إلى الشكر، فإنه يبتعد عن معيار القبول. لأن الشكر هو الطاقة التي تُبقي الخير حيًّا، وتغذي الإخلاص وتمنح الاستمرار. ومثال بسيط لذلك يظهر في علاقات أسرية؛ فالزوج/الزوجة الذي يعمل ليلاً ونهاراً من أجل أسرته دون تلقي أي رد فعل إيجابي، يُصاب بالإجهاد تدريجياً؛ بينما كلمة صادقة من قبيل: جزاك الله خيراً أو تعبك مشكور، قادرة على أن تبعث فيه روح العطاء من جديد. وقد بين الإمام الرضا (عليه السلام) هذه الحقيقة بوضوح حين قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعَمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^١ وهذا يدل بوضوح على أن تقدير الناس جزء من معيار قبول العمل. إن الشاكر يرى الدنيا بمنظارٍ مختلف؛ فكل لحظة، وكل نعمة، وكل نفس، فرصة ليقول بقلبه قبل لسانه: الحمد لله. أما الغافل، فينشغل بما يفتقده حتى ينسى ما يملك. وهكذا، يصبح الشكر مفتاح القبول، والشرارة التي تُحيي العمل وتمنحه معنى خالداً.

الإخلاص: محرّك داخلي للعمل الصالح

المعيار الثاني لقبول العمل هو الإخلاص. وهو أن تكون النية نقية، ويُنجَز العمل لوجه الله وحده، لا طلباً لنظر الناس، ولا انتظاراً لمدحهم، ولا حتى طمأنينةً للضمير الشخصي. فعمل صغير إذا خالطه إخلاص، أعمق أثراً وأبقى بركةً من أعمال عظيمة يفسدها الرياء وحبّ الظهور. إن الإخلاص يمنح القلب حرية داخلية ورصداً صادقاً؛ فالمخلص لا ينتظر الشكر من أحد، لأنه يعلم أنه يتعامل مع الله، لا مع البشر. وهذا الوعي يحميه من الإحباط والفتور، ويُبقي جذوة الخير متقدة في نفسه مهما تغيّرت الظروف.

^١ وسائل الشريعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - الصفحة ٣١٣

من يعيش بروح الإخلاص، يعيش مطمئناً، ثابتاً في عطائه، لا تضعف إرادته إن أنكره الناس، ولا يزداد غروراً إن مدحوه، لأن وجهته واضحة: رضا الله لا غير.

استصغار العمل: درعٌ يحمي من الغرور وسياجٌ يحفظ قبول العمل

ثالث معيار لقبول العمل هو التواضع بعد إتمامه؛ أي ألا يصاب الفرد بالغرور أو تضخم الذات رغم قيامه بالعمل الصالح. الفخر بالعمل الجيد، إذا أدى إلى الغرور والإعجاب بالنفس، يمكن أن يمنع قبوله. الشخص الذي يرى عمله عظيماً، يصبح لا شعورياً يطالب الله والناس: «لقد قمت بكل هذا العمل الصالح، فلماذا وقعت لي هذه المشكلة؟» هذه هي اللحظة التي يخرج فيها العمل من دائرة القبول ويفقد تأثيره. استصغار العمل يعني ألا نسمح للغرور أن يُحرق أجورنا. هذا التوجه يُبطل هجوم الشيطان من "اليمين"؛ حيث يتسلل الشيطان عبر أعمالنا الصالحة وصفاتنا الإيجابية ليقودنا إلى هاوية الغرور. ومن لا ينتظر ثناء الآخرين بعد عمل خير، يكون قد بلغ النضج الأخلاقي والروحي وعمله أقرب إلى معايير القبول.

عندما يتحول العمل الصالح إلى ضرر: الخطوط الحمراء لمعيار القبول

في النظرة الشائعة، كل عمل حسن المظهر يُعتبر خيراً. لكن في نظرة أعمق، لا تُقبل إلا أعمال تتوافق مع معيار القبول. فعمل يفقد الروح هو عمل ميت، حتى لو بدا مقدساً ودينياً. في التعاليم الدينية والإنسانية، إذا كان العمل الصالح ملوثاً داخلياً بالعجب، أو عدم الإخلاص، أو الشك، فإنه لا ينمو فحسب، بل يصبح عبئاً على صاحبه.

لكل عنصرٍ من عناصر قبول العمل، نقيضٌ يُسقطه من ميزان القبول: فالشكر يُقابله الجحود، والإخلاص يُقابله الرياء، واستصغار العمل يُقابله الكبر والإعجاب بالنفس، والمعرفة تُقابلها الغفلة والشك، والنية الطاهرة تُقابلها الحسد والضغينة. وحين يغيب أحد هذه المعاني من قلب الفعل، يفقد العمل نوره ويخرج من دائرة القبول. لهذا، فالفهم العميق لـ "خطوط القبول والرفض" هو ما يجعل الإنسان لا يُخدع بمظهر العمل، بل يبحث عن صدق النية ونقاء الباطن، لأن هناك لحظة خفيّة قد ينقلب فيها الخير إلى وبالٍ إن لم يُراعَ فيه ميزان الإخلاص والتواضع والشكر. وفي هذا القسم نستعرض بعض عوامل رفض العمل:

جودة العمل: مقياسٌ أعمق من المظهر

من أهم معايير قبول العمل هي جودته، أي مقدار العمق والصدق والارتباط القلبي في ما نفعله. فكثيرون يصلّون أو يصومون أو يتلون القرآن، ومع ذلك لا يشعرون بسكينةٍ ولا قربٍ من الله ولا نماءً روحيّاً حقيقيّاً.

لماذا؟ لأن العمل ظلّ في حدود الجسد، ولم يصل إلى القلب. كان أداءً شكلياً بلا وعيٍ ولا حضورٍ قلبي، فبدأ صحيحاً في الظاهر، لكنه خاؤ من الداخل، فخرج من ميزان القبول. وقد لخص الإمام الجواد (عليه السلام) هذه الحقيقة بقوله: « أَلْقَصْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُلُوبِ أَبْلَغُ مِنْ إِثْعَابِ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ. »^٢ أي أن خطوة واحدة يخطوها القلب بإخلاص، أقرب إلى الله من ألف عملٍ تُتعب الجسد دون حضورٍ روحي. تخيل شخصين يساعدان مسناً في الشارع. الأول يفعل ذلك باستعجال وللتباهي فقط؛ أما الثاني، فنيتة الاقتراب من الأخلاق الإلهية، فيمسك يد المسن بابتسامة وعطف ونية خالصة، ويتحدث معه، ويرافقه باحترام إلى وجهته. كلاهما قام بنفس الفعل، لكن الجودة بينهما كالسما والارض.

رغم أهمية كمية الأعمال في المسار الروحي، فإن ما يضمن قبولها الفعلي هو جودة تلك الأعمال. إذا أردنا لأعمالنا أن تحظى برضا الله، وضماننا، وحتى مجتمعاتنا، يجب أن نولي جودة داخلية ونية قلبية اهتماماً يفوق العدد والمظهر.

الرياء: حين يُطفئ التظاهر نور العمل

العمل الذي يُؤدّى بنية التفاخر أو طلب الإعجاب لا مكان له في ميزان القبول، حتى لو كان في ظاهره خيراً. كم نرى اليوم في فضاء الإنترنت من ينشر أفعال الخير لا ابتغاء وجه الله، بل ليُشاد به ويُصقّق له. هؤلاء يبيعون روح العمل في سبيل صورةٍ أو إعجابٍ عابر، فيضيع منهم الأجر والمغزى. وهذا لا يقتصر على العالم الرقمي؛ فكم من أمّ تكّد في بيتها لكنها تُكثّر من المنّ على أهلها، أو زوج ينفق على أسرته وهو يذكّرهم بتعبه في كل مرة. هذه الأفعال طيبة في ظاهرها، لكنها ناقصة في ميزان الإخلاص، لأنها تخلو من روح التواضع والمحبة. فالإخلاص هو روح العمل، وإذا غابت روحه، صار الجسد بلا حياة، ولا يُثمر العمل ما لم يُرو بنية خالصة، ولا يزهر ما لم يُزرع في أرض القلب الطاهر.

كيف يحول التفاخر بالعمل دون قبوله؟

من أخطر الأفاع التي تبعد الإنسان عن معيار قبول العمل هو الغرور بعد فعل الخير. أحياناً يتسلل الشيطان عبر باب العمل الصالح، فيوقع الإنسان في فخ الغرور الديني. الشخص الذي يصاب بالغرور بعد عبادة أو مساعدة الآخرين، يصبح لا شعورياً يشعر بالاستحقاق والمطالبة من الله؛ كمن يقول: "لقد صليت

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - الصفحة ٦٠

كل هذه الصلوات، فلماذا لم تُستجب دعواتي؟" هذا الغرور كسم خفي يفسد النية ويخرج العمل من دائرة القبول. ومن يقدّم المساعدة للآخرين مادياً أو معنوياً، ثم يرفعها على الملائكة ليرى الناس جهده، فقد تجاهل معيار قبول العمل، وأصبح عمله ناقصاً في الجوهر.

هل يمكن للجهل وعدم المعرفة أن يعيق قبول العمل؟

العبادة بلا معرفة تصبح مجرد تكرار آلي بلا روح. قال الإمام الرضا (عليه السلام): "أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَتُهُ."^٣ فمن يصلي بلا فهمٍ لمعناه، يبتعد عن معيار القبول. كمن من يحفظ الشعر دون أن يعرف معناه؛ حفظه بلا قلب، كالحركة بلا روح. وعندما تغيب المعرفة، يتحول العمل الصالح إلى عادة لا عبادة! إذا أردنا أن نُقبل أعمالنا، يجب أولاً أن نفهم لمن ولماذا نقوم بها.

هل يمكن إتمام عمل مقبول مع الشك وعدم اليقين؟

اليقين من أركان قبول العمل الأساسية. فبدونه، تصح أعمالنا مجرد قشور بلا معنى. قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): " لا خَيْرَ فِي عَمَلٍ إِلَّا مَعَ الْيَقِينِ وَ الْوَرَعِ."^٤ اليقين يعني إيماناً قلبياً ثابتاً، يبقى في أصعب اللحظات. تخيل شخصاً يعبد الله فقط في أوقات الراحة، ويبتعد عند أول أزمة؛ هذا عمله بلا جذور. وعلى العكس، ترى شيخاً مسنّاً مصاباً بالزهايم لا يزال يصلي بانتظام، نموذجاً لليقين الداخلي. إن الشك والتردد يضعفان جذور العمل ويحولان دون قبوله، فالأعمال بلا يقين لا تُقبل عند الله، وتفقد أثرها الحقيقي.

العمل الصالح بنية سيئة وملوثة: كيف تفسد النية عملك؟

أحد موانع خطيرة لقبول العمل هو نية ملوثة بالحقد والحسد. حتى لو كان العمل خيراً في ظاهره، فإن النية السيئة تُبطله. وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «لَا يَقْبَلُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَ هُوَ يُضْمِرُ فِي قَلْبِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سُوءًا».^٥ مثال بسيط على ذلك: عندما يقوم شخص بصلاة الليل، ولكنه يتعامل مع عائلته بقلب مليء بالضغينة، لا يمكنه أن يأمل بقبول أعماله؛ لأن النية الصافية هي جذر كل عمل قيم.

وفي ختام هذا الدرس، يطرح سؤال جوهري: هل يمكننا معرفة ما إذا كانت أعمالنا مطابقة لمعايير القبول؟ هناك علامات تساعدنا على تقييم أعمالنا:

^٣ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ١٨٩٥

^٤ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢١٢٩

^٥ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - الصفحة ٣٦٥

- هل تحسّنت حالتنا الداخلية وشعرنا بسكينة أكبر بعد إتمام العمل؟
 - هل نكرر العمل نفسه دون أن يرانا أحد؟
 - هل يبقى لدينا الدافع للقيام بالعمل عندما يكون الآخرون غافلين أو غير مهتمين؟
 - هل لا نتفاخر بهذا العمل على الآخرين؟
- إذا كانت الإجابات إيجابية، فهذا يعني أننا اقتربنا من معيار قبول العمل.
أما إذا شعرنا بعد الفعل بطلب أجر، أو استياء من عدم رؤية الناس لنا، أو توقع استجابة سريعة من السماء أو البشر، فالأفضل إعادة مراجعة النية وتصحيحها.

سؤال للتأمل الشخصي:

- هل سبق أن قمت بعمل ظاهرًا صالحًا لكنه في باطنه أذى نفسك أو الآخرين؟
أم أنجزت فعلًا صغيرًا بنية صافية ترك أثرًا كبيرًا في قلب الآخرين؟

شارك تجربتك في التعليقات، فقد تكون نورًا يهدي الآخرين لفهم أعمق لمعايير قبول العمل.